اللسانيات الحاسوبيّة في زمن العولمة
قراءة سوسيولوجيّة في مضمون الخطاب وأبعاده

The computational linguistics in time of globalisation
Sociological reading in content of discourse and thier dimensions

د. ساميّة قطوش*

تاريخ الاستلام: 13 06 2020 تاريخ القبـــول: 08 07 2020

الملّخص:

إن الرهـان التّكنولـوجي الحـديث ومـا ينتجـه مـن وسـائل اتصـال جديـدة كالأنترنـت والهواتـف النقالـة ومـا تـوفره مـن فضـاءات تواصليّة حديثـة أفـرزت ممارسـات لغويّـة ذات أسـلوب خـاص وخطـاب مختلـف علـى المسـتوى المنطـوق والمكتـوب، سـنحاول في هـذا المقـال إثـارة السـؤال حـول العلاقـة بـين الوسـائط التّكنولوجيّة والخطاب اللغوي في سياقاته الثقافيّة والسوسيولوجيّة، بما في ذلك الخطاب الحاسوبي المتداول في منصات التّواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحيّة: لسانيات حاسوبيّة؛ عولمة؛ خطاب؛ سوسيولوجيا.

* جامعة الجزائر 2، الجزائر، البريد الإلكترونيّ: guettouche.samia@gmail.com (المؤلف المرسل)

Article Summary:

The modern technological bet and what are offered by the produces of new communication media like internet and mobile phone and what are offered of modern communication space has produced linguistic practices with special style and different discourse at the spoken and written level, we will try in this articale raise the question about the relationship between technological media and linguistic discourse in the sociological and cultural context, including the pragmatic computational discourse in social media platforms.

Key words: computational linguistics؛ globalisation؛ discourse ؛ sociology.

المقدّمة

لقد ساهم التّحول الحاصل في راهننا على مستوى التّطور التّكنولوجي في التّأثير على اللغة باختلاف انتشارها ومكانتها وبنيتها الدلاليّة، ذلك أن كل إبداع تقني أو معرفي من شأنه أن يحدث حركة ديناميكيّة في الاتصال أو التّواصل الذي يبنى على اللغة، وما من شك أن هذه التّحولات فرضت على مختلف اللغات رهانات وتحديات جديدة، بما في ذلك اللغة العربيّة التي عرفت طوال حياتها مخاضات تاريخيّة وثقافيّة عديدة ولعل الرهان التّكنولوجي الحديث وما ينتجه من وسائل اتصال جديدة كالأنترنت والهواتف النقالة وما توفره من فضاءات تواصليّة حديثة أفرزت ممارسات لغويّة ذات أسلوب خاص وخطاب مختلف على المستوى المنطوق والمكتوب.

وبناء على هذا التّقعيد نحاول في هذا المقال إثارة السؤال حول العلاقة بين الوسائط التّكنولوجيّة والخطاب اللغوي في سياقاته الثقافيّة والسوسيولوجيّة، بما في ذلك الخطاب الحاسوبي المتداول في منصات التّواصل الاجتماعي، ومن ثم انعكاسات هذه الاستخدامات على هويّة شبابنا من خلال ما يمكن إن تفرزه من عبث لغوي يشوه اللغة ويفرغها من مضامينها النفسيّة الاجتماعيّة

والثقافيّة. ذلك أن اللغة هي أم الرموز كلها، وأداة التّواصل الأولى بامتياز عبر العصور، ولأن الأيديولوجيا تصنع الأيديولوجيا كما يقول "ماكلوهان" الخبير الكندي صاحب نظريّة الحتميّة التّكنولوجيّة، كان لزاما على مستخدمي الوسائط التّكنولوجيّة الحديثة ال التّزام والتّكيف مع قوانين التّواصل الافتراضي الذي هو الآخر يحتكم إلى قانون السرعة والشموليّة والعالميّة، والتيهي سمات أساسيّة للتواصل عبر الحاسوب.

وفي خضم هذا النمط الاتصالي التّكنولوجي العالمي، تظهر الحاجة إلى التّساؤل حول مصير لغتنا في هذا الفضاء الافتراضي؟ وإذا اعتبرنا أن اللغة هي حارسة القيم بامتياز، ،فكيف سيؤثر التّغير في استخداماتها وتوظيفها على منظومة القيم لدينا، ، ،ثم هل يمكن أن تساهم هذه اللسانيات الحاسوبيّة من خلال ما يمكن أن تفرزه من عبث لغوي في تقديم خطاب يعبر فعلا عن هويتها بالنسبة لذو آتنا ولتقديم أنفسنا للآخر؟! وهذا هو المعنى الضمني الذي سنحاول البحث فيه من خلال هذا المقال.

1ـ العولمة

منذ بداية عقد التّسعينات من القرن الماضي والفكر مشغول بظاهرة جديدة لم يتفق المفكرون على تسميّة واحدة لها، حيث أطلق عليها البعض "العولمة"، وأطلق عليها البعض الآخر اسم "الكونيّة"، كما سميت أيضا بالكوكبة، فما هي هذه الأخيرة، وما هي تداعياتها؟

الواقع ان تعريف العولمة ذو إبعاد مختلفة، فهي تشير اقتصاديا الى انفتاح العالم اقتصاديا على بعضه، والعولمة من خلال التّصور الإعلامي هي عبارة عن

شبكة الاتصالات عاليّة الجودة مثل شبكة الانترنت والبريد الالكتروني، أين يكون العالم مثل قريّة صغيرة تتلاشى فيها حدود الزمان والمكان. أما رجال السياسة فيرون إنها الدعوة الى اعتناق الديمقراطيّة والليبراليّة السياسيّة وحقوق واعتماد مفهوم "المواطنة الرقميّة".

أما العولمة الثقافيّة فهي تعني توحيد القيم حول الأسرة والمرأة وقيم الاستهلاك والذوق في الأكل واللباس، بل انها توحد التّفكير حتى يقول (جيمس روزانو) أحد علماء السياسة الأمريكيين عن العولمة: "إنها العلاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد والسياسة والثقافةً والإديولوجيا، وتشمل: إعادة الإنتاج، وتداخل الصناعات عبر الحدود وانتشار أسواق التّمويل، وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة" [1]

لقد وصف (وليم جريدي) الكاتب الأمريكي في كتابه عالم واحد...مستعدون ام لا؟) ، العولمة بأنها "آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعيّة والتّجاريّة العالميّة، وأنها قادرة على الحصاد، وعلى التّدمير، وأنها تنطلق متجاهلة الحدود الدوليّة المعروفة، وبقدر ما هي منعشة، فهي مخيفة، فلا يوجد من يمسك بدفة قيادتها، ومن ثم لا يمكن التّحكم في سرعتها ولا في اتجاهاتها). فهي نظام عالمي جديد يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتيّة القائم على المعلوماتً والإبداع التّقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافيّة والسياسيّة القائمة في العالم"[2]

ويعرفها الدكتور مصطفى محمود فيقول:" العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يبقى منه إلا خادم للقوى الكبرى[3]

العولمة هي ايضا " العمليّة التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي يتنقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتّجزئة الى حالة الاقتراب والتّوحد، ومن حالة الصراع الى حالة التّوافق، ومن حالة التّباين والتّمايز إلى حالة التّجانس والتّماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانيّة عامة"[4]

وعلى كل فإن العولمة هي منظومة المبادئ السياسيّة والاقتصاديّة، ومن المفاهيم الاجتماعيّة والثقافيّة، ومن الأنظمة الإعلاميّة والمعلوماتيّة، ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، يراد بها إكراه العالم كله على الاندماج فيها، وتبنيها، والعمل بها والعيش في إطارها"[5]

وبناء على هذه التّعاريف، نستخلص ان العولمة هي إذن ظاهرة معقدة الأوجه، وقد فرض هذا المصطلح "عولمة" نفسه بقوة ليطال العالم بأكمله محدثا تغييرات في مختلف جوانب الحياة الاجتماعيّة، الاقتصاديّة، السياسيّة والثقافيّة تحت قيادة ثورة تكنولوجيا المعلومات.

وعلى خلفيّة على هذه الضجة الفكريّة الإيديولوجيّة الكبيرة اهتم المشهد الثقافي والاجتماعي والسياسي العربي بشكل كبير لموضوع العولمة كمشروع كوني، وبدأت التّساؤلات تطرح حول هذا الموضوع، فهل العولمة هي خطر كوني يترصدنا أم الخطر يكمن في غياب مشروع حضاري عربي يستجيب

لمتطلبات العولمة ويكون بمثابة تأشيرة لدخول الألفيّة الثالثة بشكل إيجابي فاعل وليس البقاء في محل المفعول به وحسب. "ويبدو الحديث عن الثقافة في زمن التّكتلات الضخمة ومشاريع الأمم الكبرى والحضارات الكونيّة والعولمة الاقتصاديّة، أشبه بالسباحة بعكس التّيار، ولكن ثمة حقيقة تشفع لنا البحث في هذه المسألة في هذا الزمن، ألا وهي جملة التّحديات التي تواجه الثقافات المحليّة والوطنيّة من جراء مشاريع العولمة والكوكبة في إطار من الغلبة الشاملة، ولا تتبع التّحديات التي تواجه الثقافات الوطنيّة من لقاء ثقافي حضاري بين ثقافتين لا متكافئتين، أو بين نظامين معرفيين متمايزين، وإنما التّحديات من لقاء أمة متخلفة، ضعيفة، منهكة القوى، لا تمتلك مقومات السيادة الذاتيّة، وبين أمة قويّة، متقدمة، تمتلك كل مقومات القوة والهيمنة"

2ـ سوسيولوجيا الانترنت والهيمنة اللغويّة :

أصبح واضحا ان المجتمعات اليوم تواجه فيما يخص قضيّة اللغة موقفا مصيريا، اما ان تتمسك بتعدد لغاتها، وما يترتب على ذلك من صعوبة التّواصل، وإما أن تقبل بتوحد لغتها في لغة واحدة هي الانجليزيّة على الأرجح...

ويتنامى الشعور بأننا سنعيش هاجس التّكنولوجيا كعدو للتنوع الثقافي، ولا نكون مبالغين إذا قلنا أن العالم ربما يترقب انتشار ظاهرة الانقراض اللغوي كوبان ثقافي يجتاح العالم بأسره! الذي من اهم أسبابه هو طغيان اللغة الانجليزيّة في مجتمع المعلومات، وها هي إحصائيات اليونسكو تصدمنا بحقائق مفزعة عن الوضع العالمي للغات البشريّة، فنصف لغات العالم مهددة بالانقراض، ومعدل انقراضها في تسارع، وتعكس الانترنت صورة قاتمة للتنوع اللغوي، فمن

ضمن الستة آلاف لغة، هناك خمسمائة لغة ممثلة على الشبكة، معظمها ذو وجود ضعيف للغاية، وهو أمر ينذر ب "فجوة لغويّة" تزيد الانفصال بين دول متقدمة لغاتها مهيمنة، ودول ناميّة عاجزة عن إقحام لغاتها في مواجهة هذه التّحديات على شبكة الانترنت. ولعل ذلك أخطر العوامل المؤثرة على الهويّة.

ومن هنا تظهر الهيمنة اللّغويّة كجزء من الأدوار المختلفة التي تكرس لها ظاهرة الاستخدام العالمي للتكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة، فالهيمنة اللغويّة هي تلك الظاهرة التي تسيطر على عقول شعب معين اتجاه لغة أجنبيّة مهيمنة على لغتهم الأصليّة، بحيث يعتقدون أنه يجب عليهم استخدام اللغة الأجنبيّة في تعاملاتهم اليوميّة، وفي نظامهم التّعليمي، وفي جوانب الفلسفة والأدب، والمعاملات الحكوميّة والقضائيّة والاداريّة، ان الهيمنة اللغويّة تتبع منهجيّة تمكنها من السيطرة حتى على عقول النخبة، بحيث يظن المرء بان لغته الأصليّة لا ترقى الى مصاف اللغة الأجنبيّة المهيمنة وبذلك يبدأ العزوف عن اللغة الأصليّة واحتقارها.[6]

اللغة العربيّة من محنة الكولونياليّة إلى إشراقة الثورة التّحريريّة، صالح بن القبي: مآسي اللغة العربيّة طيلة الاحتلال الاستعماري ومآثرها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، دار الأمة للطباعة والنشر والتّوزيع، الجزائر، 2007، ص 273[7]

ويرى (برهان غليون) أن باستطاعتنا الحفاظ على هذه الهويّة أو أن الشعوب تشعر بالحاجة لتبني لنفسها في هذا العالم الواحد (العولمة) شخصيّة وكيانا متميزا، أي أن تعيد النظر في دورها ومقاصده او استراتيجيتها وغاياتها، وليست

أزمة الهويّة سوى إعادة نظر الجماعة الكبرى في وصفها التّاريخي والعالمي، وتحديد أهدافها ومكانتها ووظيفتها الخاص

وتوجهاتها العميقة فيه، فتوحيد لا يلغي خصوصيّة الوظائف التي ينطوي عليها عمل كل جماعة ولكنه لا يتحقق إلا من خلال تعيينها [8]

3ـ أثر وسائل التواصل الاجتماعي والهواتف الذكيّة على لغتنا:

لقد افرز التّطور التّكنولوجي الحديث ممارسات وأشكال عدة في التّواصل، بناء على مختلف المتغيرات الأخرى التي تهندس هذه العلاقة مثل السن الجنس، الوعي، الثقافة، وغيرها من التّصنيفات الاخرى التي تأثر في سلوك الفرد ونتاجاته وعلى الهويّة واللغة، بسبب تأثير استخدام هذه التّكنولوجيات على معتقدات الأفراد وأفكارهم وقيمهم وتشكلاتهم الجديدة.

الظاهر ان المستخدمون باتوا يميلون إلى الاختصارات والإيماءات المتاحة من إدارات المواقع عند الحاجة الى التّعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وانفعالاتهم وردود أفعالهم بل أيضا مزاجهم من خلال استعمال ما هو متاح من رموز الكترونيّة عوضا عن الإسهال في التّعبير بالكتابة، لتصبح تلك الرموز والاختصارات من بين الأسباب القويّة التي تبعدهم عن لغتهم الأصليّة، مما يترتب عليه ضعف كبير في استخدام ونطق هذه اللغة، ولعل ذلك يفسر العجز والضعف الملحوظ عند شبابنا وهم يتحدثون بلغتهم الأصيلة دون طلاقة وبعسر كبير يشعرك بالضياع.

وهو الأمر ذاته الذي يفسر ان التّواصل الافتراضي أصبح مجالا مفتوحا للصراع اللغوي والثقافي أيضا.

وفي هذا يقول نلده(Nelde): "إن اي اتصال هو مصدر محتمل لنشوب النزاعات، فمثلا اللغة الصربيّة (مهيمنة) مارست ضغوطا في يوغسلافيا، على غيرها من لغات الأقليات، وهذه اللغة لا منازع لها، وهي التي تهيأ الأرضيّة السليمة لكل مواطن يوغسلافي من الذين يتحدثونها، لأن يتسلق السلم الاجتماعي. لكن هيمنة هذه اللغة الصربيّة (الكولونياليّة) وسمعتها تشوشها في وعي الألبان، بعد أن تحولت الالبانيّة الى محرك رمزي للمقاومة ضد السياسة القمعيّة غداً لها هويّة ذاتيّة، وأصبحت اللغة الصربيّة لغة الأقليّة مع كثرة عددهم، والألبان الأغلبيّة"[9]

هكذا إذن يمكن ان تلعب اللغة دورا مزدوجا جامعا ومقوما أساسيا للهويّة والانتماء والوحدة المجتمعيّة، وطاردا لعوامل الوحدة والتّماسك عندما تتحول إلى آليّة وموضوع للصراع بين الثقافات.

ا- لغة موازيّة هجينة على الانترنت تهدد اللغة العربيّة:

إن تكنولوجيا الاتصال الحديثة والانترنت قد أضافت تحديا ثقافيا كبيرا في مختلف بقاع العالم، خاصة إذا لم تسارع إلى التّكيف والتّطور التماشي ولغة الانفجار المعرفي والمعلوماتي الهائل الذي يشهده العالم في كل صوب، فالثقافة واللغة التي لا تستطيع مواكبة التّطورات التّقنيّة والعلميّة سيكون مآلها الزوال والتّراجع والاندثار.

والشاهد أن هذه التّكنولوجيات الجديدة فرضت من خلال مراسلات البريد الالكتروني والمواقع الالكترونيّة، لغة مكتوبة جديدة مليئة بالتعابير

المستحدثة، وطالت استخداماتها الرموز والصور والرسوم والإشارات، كأسلوب للتعبير عن المشاعر والانفعالات والعواطف بدلا من الكلمات المكتوبة.

والواقع أن هذه الظاهرة هي بمثابة إعلان عن ظهور لغة موازيّة يستخدمها الشباب العربي في تواصلهم الافتراضي، لعلها تهدد حاضر ومستقبل اللغة العربيّة في الحياة اليوميّة وتلقي بضلالها على ثقافتهم وسلوكاتهم وقيمهم بشكل عام.

لقد أصبحت غرف الدردشة قريّة صغيرة اتفق فيها الشباب على لغة للتواصل، يجمع المختصون بأنها لغة هجينة غريبة وتوظف مصطلحات لا تستعمل في الحياة اليوميّة، فهي لغة خاصة بالفايسبوك! اين تصبح غرف الدردشة بمثابة القريّة الواحدة التي تجمع هويات العالم بأكمله بشكل يكسر الحواجز ويختزل المسافات بل الثقافات كلها في ثقافة واحدة هي ثقافة العولمة.

لقد استطاع هؤلاء الشباب أن يصنعوا لهم لغة افتراضيّة موازيّة لهويّة افتراضيّة أيضا تساعدهم على التّواصل بينهم بشكل يجعل من الرموز أدوات فاعلة بامتياز في هذا الحراك اللغوي الجديد.

إن حروف اللغة تحولت في الفضاء الافتراضي الى حروف حاسوبيّة تضم رموز وأرقام، وأصبحت الحاء(7). والهمزة(2)، والعين (3)، وكلمة عمر تكتب (omar3)، وكلمة حلم تكتب (olm7) وكلمة you تكتب (u)، وغيرها من الاختصارات الأخرى

والملاحظ ان كثير من هذه المصطلحات خاصة فقط بالعالم الافتراضي، ذلك انها لا تستعمل خارج التّكنولوجيا اثناء التّواصل مع الآخر، ويتضح ايضا

أنها لغة موجزة بكل المقاييس وحمالة للأسف في بعض تفاصيلها لمصطلحات خادشة للحياء.

والواقع ان هذه اللغة الافتراضيّة هي جزء من أطروحة الإنسان الكوكبي الذي تريد من خلالها العولمة تعميم الأذواق والأفكار والهويات في قالب واحد يزعم بأنه ذو بعد عالمي، إلا انه اختراق مبطن من خلال اللغة أيضا للهويّة العربيّة طالما ان اللغة هي ام الرموز كلها وأهم عنصر في الثقافة، حيت يأتي هذا الاختراق اللغوي كشكل من أشكال "طمس الهويّة الثقافيّة للمجتمعات الإسلاميّة، واستبدالها بالهويّة الغربيّة، وخاصة الأمريكيّة، حيث سيطرت الثقافة الأمريكيّة الشعبيّة على أذواق البشر.

وبناءعليه تأتي هذه اللغة الهجينة لتعكس حالة من الفوضى النفسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة التي يعيشها الشباب في زمن العولمة، أين تتمظهر في أشكال مختلفة من المزج اللغوي على مستوى التّواصل الافتراضي يعبر في النهاية عن ضعف الانتماء للغة الأم، وضياع المرجعيّة اللغويّة في الاتصال عبر هذه الوسائط التّكنولوجيّة بسبب سيطرة اللغة التّكنولوجيّة طالما ان هذه الأخيرة تعبر في الأصل عن أيديولوجيا صانعيها، هي أيديولوجيا الاختراق.

ب- أخطاء في حق اللغة العربيّة تفقد لذة الحرف العربي الأصيل:

يلاحظ المتصفح لمواقع التّواصل الاجتماعي وجود وانتشار كلمات قد لا تكون موجودة أصلا في قواميس اللغة العربيّة، كلمات لا تعبر لا في شكلها ولا في مضمونها عما تزخر به لغة الضاد من جمال في الشكل على مستوى المنطوق والمكتوب، وفي غزارة المعنى.

ولعل من جملة الأسباب التي تؤدي إلى تفاقم الأخطاء اللغويّة في وسائل التّواصل الاجتماعي، السرعة وضغط الوقت في حالة الدردشة المباشرة، وما يترتب عنه من حتميّة ملاحقة الحوار وعدم القدرة على مراقبة ما يكتب، فتخرج الكلمات والجمل ملوثة الأخطاء الإملائيّة والنحويّة، ومليئة ب التّراكيب اللغويّة الخاطئة وإن كان المستخدم مدركا للصحيح منها.

هذا بالإضافة إلى شيوع اللجوء نحو استعمال العاميّة والمزج اللغوي الهجين، الذي أصبح يمثل تحديا كبيرا يواجه اللغة العربيّة في زمن العولمة والانفتاح الثقافي وهيمنة اللغات الأجنبيّة على المشهد العام.

ومن الأهميّة بما كان ان نقر بان ذلك ساهم في ضعف اللغة عند أبناءنا وتفشي الهجين من اللغة على ألسنتهم، فابتعدوا عن الملكة والسليقة اللغويّة.

وجدير بالذكر هنا الإشارة إلى بعض الأخطاء التي تضعف من لغتنا في استخدامات ابناءنا الافتراضيّة أثناء التّواصل الرقمي والذي يميل نحو تغليب استعمال الانجليزيّة في شكل عبارات مختصرة يعبرون بها عن مقاصدهم، نحو: (سيس، sys) وهي اختصار لجملة: see you soon ومعناها :أراك قريبا، وكلمة (لول، lol) وهي تعني الضحك بصوت عالي، و كلمة (برب brb)، وهي اختصار لجملة Ba Be Right ومعناها سأذهب واعود.

والملاحظ أيضا في هذا الصدد شيوع الأخطاء الإملائيّة، على شاكلة تجاوز ألف المد أو همزة الوصل بسبب تثاقل المستخدم للإنترنت عن الاستبدال المتكرر لبعض الحروف التي لم تستوعبها لوحة المفاتيح مما يضطره إلى الضغط على زر

الاستبدال الذي يستغرق الوقت ويقطع الاسترسال في الكتابة، بعكس الانجليزيّة التي استوعبت الانترنت جميع حروفها بتخصيص كل زر لأحرفها.

هذا وقد "أصبحت الحركات أو الضبط بالشكل في لوحات المفاتيح تستخدم زخرفها من القول، وهذا من الجهل بمقاصدها تلك الحركات التي لها معانيها النحويّة واللغويّة، ولعل كل هذه الانحرافات اللغويّة والسلوكيّة من شانها ان تؤثر على الهويّة، فلا تكتمل الهويّة الثقافيّة ولا تبرز خصوصيتها الحضاريّة ولا تغدو هويّة ممتلئة قادرة على نشدان العالميّة وعلى الأخذ والعطاء إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان شخص تتطابق فيه ثلاث عناصر: الوطن والأمة والدولة، فأي مس بهؤلاء هو مس بالهويّة الثقافيّة والعكس صحيح كما يقول الجابري."[10]

وطالما أن هذه الخربشات الحاسوبيّة المشفرة لا تنطق عن الأنا الفعلي ولا تكشف عن الانتماء وتلغي الخصوصيّة ولا تعبر عن الشخصيّة، فهي لا تعدو أن تكون إلا مساس بالهويّة والعناصر الثقافيّة بل هي عودة إلى الوراء لشخص مجهول.

ج- مخطط تغريبي حاسوبي لساني للقضاء على العربيّة رمز الهويّة العربيّة:

تساهم أدوات العولمة من خلال الوسائط التّكنولوجيّة الحديثة في تقديم عالم افتراضي يشكل معالمه الفرد ذاته عبر مختلف الممارسات التي يسيطر من خلالها على اكراهات الاخر ومكبوتات الذات، وهي بذلك تساهم أيضا من حيث يشعر او لا يشعر في تحوله إلى إنسان بعقل أداتي، من خلال ما يقدمه، ويُقدم عليه من تفاعلات واستخدامات على الشبكة، بلغة ممسوخة المعالم تتشكل مع كل مستخدم، وتعمل على تشكيل نتاجات جديدة ومبتكرات حديثة كان لاستخدامات الفرد الأثر في ظهورها من خلال تشكلاته الجديدة، وتطور

علاقته بالمبتكرات، الأمر الذي أدى بشكل واضح الأثر لمسخ اللغة والهويّة والكيان الحقيقي للبشر.

حيث ينغمس الشعور الوهمي للمستخدمين بأنه لا حياة ولا تقدم نحو الأمام يكون دون تبني هذه اللغة، وان تعلم لغة أجنبيّة يدل على طريقة حياة جديدة وثقافة جديدة، و التّعرف و التّعلق بالآخر، لتغدو هي ذات الأنا، فإن دخلت هذه اللغة إلى حياة لغة أخرى قتلتها وحلت محلها، حتى وإن خرجت هذه اللغة الأجنبيّة الا انها تبقى في أنسجة اللغة فهي تقوم على أنسنة وتغريب اللغة، فيعبر(داي) عن الخوف من أن تيار طغيان اللغة الانكليزيّة كلغة ثانيّة يعزز مثل هذا الإجحاف من خلال التّركيز على إجادة عدد محدد من الناس للغة الانكليزيّة.[11]

وهكذا يبدو ان الهويّة في استهدافات متكررة كلما كان المدخل هو إعادة تركيب اللغات واحتلال المصطلحات من خلال استبدالها بمصطلحات يراد أن تكون عالميّة وتحظى بالإجماع في العرف الالكتروني، او من خلال تهجين اللغة وإهدار قوتها وطاقتها الثقافيّة القادرة على استيعاب مقوماتها وعناصرها الثقافيّة.

4ـ ثنائيّة الهويّة واللغة في ظل العبث اللساني الإلكتروني:

أن عمليّة التّواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت اتخذت أشكالاً وممارسات، وأنتجت ب التّالي استخدامات متنوعة جاءت نتاج ممارسات واحتياجات نشأت لديه من اجل تحقيق تواصل أكبر أو لإرضاء فضول المعرفة عنده، فضلا عن سعي الفرد للخوض في ذاته وفي تفاصيلها وذوات الآخرين من أجل التّعرف عليها، خاصة بالنظر الى فكرة الخصوصيّة والكتمان التي تجعله يحتال على فكرة المواجهة التي تغنيه حرج الظهور بشخصه، مما يسمح له

بتقمص أدوار وشخصيات أخرى، اتخذ من فكرها ولسانها وسيلة للإفصاح عن مكنوناته، أو فرصة للتحرر من قيود الفكر والجسد والمكان ومن إكراهات الأنا والآخر، إلى ذات أخرى يجدها ملاذاً آمناً وفكاكاً من قيود افترضها وساعدته على ذلك الثقافة العالميّة التي سيطرت على المعتقد البشري وسلامته!

ان اللغة هي السبيل القوي للحفاظ والثبات على المشاركة في الجماعة وعلى الهويّة الخاصة بكل فرد، ويورد (ر.ل.تراسك) مثالاً على أن الحفاظ على اللغة حفاظ للهويّة بأن هناك سباكاً يستخدم لغة خاصة بطبقته وحين التّخلي عن هذه اللغة وتناول لغة أخرى ليست من طبقته يعني هذا التّخلي عن لغته وعن هويته، وكأنه يقول: "لم أعد واحداً من جماعتكم" لذا تعد اللغة أداة بالغة القوة للإعلان عن هويّة شخص ما والحفاظ عليها[12].

"ان تعدد اللغات في العالم ليس واقعا حتميا علينا العيش معه، بل هو أداة للهويّة الإنسانيّة لا يمكن الاستغناء عنها من اجل مواجهة متطلبات الثقافة المحليّة والمحافظة على السلوك وجعله يؤدي وظائفه تحت مختلف الظروف الاجتماعيّة، والتّقليل من تعدد اللغات يؤدي إلى التّقليل من إقامة جماعة إنسانيّة ذات صبغة خاصة بهم[13]، فالعولمة متحققة في العولمة الحضاريّة والتّبعيّة الثقافيّة، وتبعيّة الأطراف للمركز، من منطق تكريس الهيمنة لقوى المركز، ومركز القوة هو اليوم بيد الغرب بفضل العولمة.

وبطبيعة الحال تحاول الأطراف الأضعف التّمسك بقيمها وأص التّها قدر الإمكان، على ألا يكون ذلك مبنيا على منطق الانغلاق والتّقوقع على الذات "لذلك ذهب (ادوارد سابير) إلى أن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع بشري معين [14]

والتي يتكلمها أبناؤه ويفكرون بواسطتها هي التي تنظم تجربة هذا المجتمع وهي التي تصوغ ب التّالي عالمه وواقعه الحقيقي" [15]

وفي معرض هذا الحديث لا ننس الإشارة الى حالة الانبطاح التي يقبلها البعض و الت يتبنى على فكرة الاستنساخ التي يجد لها هؤلاء تبريراتها الخارجة عن النص شكلا ومضمونا باعتبارها تقبل التّبعيّة الغربيّة، ويعتبر ادوارد سعيد أن "خطاب الاستشراف مثلا يطرح في جوهره رغبة عارمة في أخصاء الآخر عقليا لكي يقر في النهاية لتبعيته للغرب، ويتعامل مع استعلاء الغرب كجزء لا يتجزأ من طبيعة الحياة وقوانينها [16]

وبناء عليه، فإن الخوف والصراع مع العولمة والأنظمة الجديدة المطروحة و التي يروج لها من قبل منتجيها تدل على الخوف على الهويّة القوميّة وإدراك المخاطر التي ستقع على الخصوصيّة الثقافيّة العربيّة، ولعل "اللغة "باعتبارها الوعاء الاجتماعي الذي تتأسس عليه عمليّة الاتصال، تعتبر حارسة القيم بامتياز، ومن ثم فإن الممارسات الخاطئة التي تطال استخداماتها تأثر على بنيتها ووظائفها من خلال الهجين اللغوي الملاحظ مثلا على مستوى التّفاعل الرقمي، والذي من شأنه أن يفرز بدوره خللا وظيفيا أيضاً على مستوى ما يمكن أن يحدثه هذا الهجين من انكسار للهويّة وضرب لأحد مقومات الأمة الذي هو "اللغة"

خاتمة:

من الحقائق المؤكدة أن اللغة هي وعاء الشعوب، ومستودع القيم الثقافيّة والاجتماعيّة، وعليه فإن أي محاولة لإضعاف لغتنا، واستبدالها بأخرى، سيؤدي بالضرورة إلى قيم هزيلة وإلى وهن في أهم رموز الهويّة والانتماء!

وتجدر الإشارة إلى أن التّعود على استخدامات دخيلة للغة عبر هذه الوسائط التّكنولوجيّة من شأنه أن يخضع ب التّدريج إلى نوع من البرمجة اللغويّة العصبيّة التي تصبح تتضاعف أكثر وأكثر لتبني قيم اللغة الجديدة بسبب سلطان العادة والتّعود، بل وقد يعجز هذا المستخدم عن التّعبير عن شعوره وعواطفه بلغته بطلاقة مع مرور الوقت!

ومن نافلة القول إن اللسانيات الحاسوبيّة في زمن العولمة تصنع فعلا ثنائيّة قيميّة للغة والهويّة، ً ولا نبالغ إذا قلنا إن أمننا الفكري هو مرهون بمدى إقبالنا على لغتنا ورفضتا لأي محاولة تريد إحلال لغة أخرى محلها ولو كانت افتراضيّة! ذلك أن التّمسك بها هو انتصار لأوطاننا على الحروب المقنعة التي تستهدف اختراق سيادات الدول من خلال استعمار العقول وإعادة مونتاج الذهنيات واحتلال المصطلحات بدعوى التّطور والتّحديث في شكل لا يعدو أن يكون في نهايته إلا انفصاما كليا عن الوطن والهويّة والانتماء.

إن حماية اللغة من انحرافات تكنولوجيات الاتصال واجب قومي وديني في آن واحد، فاللغة هي حارسة القيم ومستودعها، واللغة العربيّة هي السياج المتين الذي يحميها من كل الانحرافات، فالهويّة هي نتاج المعاني التي يؤسسها الأفراد عبر اللغة، والطابع الخاص للمجتمع يكون وليد تفاعل ما يحدث بداخله من خطابات لغويّة، وتعكس كل ما يتميز به المجتمع من مميزات.

الهوامش:

(1) نعيمة شومان، العولمة بين النظم التّكنولوجيّة الحديثة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ً ص49

(2) محمد سعيد أبو زعرور، العولمة، دار البيادق، عمان، الأردن، ط1، . 1998، ص 14

(3) إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، أحمد مصطفى عمر، المستقبل العربي، ص72، نقلا عن مجلة (الإسلام وطن)، عدد138، 1998، ص12

(4) أحمد مجدي حجازي، العولمة وآليات التّهميش في الثقافة العربيّة، ص 3، (وهو بحث ألقي في المؤتمر العلمي الرابع (الثقافة العربيّة في القرن القادم بين العولمة والخصوصيّة) المنعقد بجامعة فيلادلفيا بالأردن في ماي. 1998

(5) محمد إبراهيم المبروك وآخرون، الإسلام والعولمة، الدار القوميّة العربيّة، القاهرة، 1999، ص ص 99- 101

(6) محمد عابد الجابري، العرب والعولمة، مركز فلسطين للدراسات والبحوث، غزة، 1999، ص137

(7) اللغة العربيّة من محنة الكولونياليّة الى إشراقة الثورة التّحريريّة، صالح بن القبي: مآسي اللغة العربيّة طيلة الاحتلال الاستعماري ومآثرها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، دار الأمة للطباعة والنشر و التّوزيع، الجزائر، 2007، ص 273

(8) العولمة والحياة الثقافيّة في العالم الإسلامي، عبد العزيز بن عثمان التّويجري، المنظمة الإسلاميّة للتربيّة والثقافة والعلوم، الرياض، وهو موجود في موقع آيسيسكو، شبكة المعلومات الدوليّة

(9) روبرت فيليبسون، الهيمنة اللغويّة: سعد بن الهادي الحشاش، جامعة الملك سعود للنشر العلمي، ط 1، 2007، ص 85- 86

(10) مجموعة مؤلفين: تساؤلات حول الهويّة العربيّة، دار بدايات، ط1،2008، بحث برهان غليون: أزمة الهويّة، ص 102- 105

(11) هارولد هارمان: عالم بابلي، تاريخ اللغات ومستقبلها، تر: سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتّراث، قطر، ط 1،2006، صص328- 329

(12) محمد عابد الجابري: العولمة والهويّة الثقافيّة، "عشر أطروحات"، في " العرب والعولمة"، بحوث ومناقشات الندوة الفكريّة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربيّة (بيروت 1997)، تحرير : أسامة أمين الخولي، ،ط 2، بيروت، ص 16,15

(13) روبرت فيليبسون، الهيمنة اللغويّة، مرجع سابق، ص 266

(14) هارولد هارمان، عالم بابلي، تاريخ اللغات ومستقبلها، مرجع سابق، ص 46

(15) محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافيّة وقضايا اللسان والهويّة، تالة للنشر، الجزائر، 2007، ص 128.

(16) ادوارد سعيد ونقد الاستشراق، صالح سليمان عبد العظيم، الحوار المتمدن، عدد 1368 14/11/2005.www.alhewar.org